# مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية

# والرد عليها

## (دراسة نقدية تحليلية)

د. صالح سنين صالح يعقوب *

---

* أستاذ القراءات وعلوم القرآن، المشارك – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

**ملخص البحث:**

يأتي هذا البحث متناولاً موضوع الاستشراق ومناهجه في إثارة الشبهات حول أحد مرتكزات الإسلام ألا وهو القراءات القرآنية، ولا شك أن الاستشراق باعتباره ظاهرة فكرية قد أثر تأثيراً كبيراً على أجيال عديدة من أبناء الأمة الإسلامية تأثيراً سالباً، لذلك كان التناول لهذا الأمر، وجاء ذلك لتحقيق جملة من الأهداف أهمها:-

١. إبراز الدور الريادي الذي تقوم به الهيئات العلمية والبحثية في الذب عن عقيدة الأمة وصون مرجعياتها الفكرية والعقدية من خلال تناول موضوع القراءات ودحض شبهات المستشرقين حولها.
٢. التأكيد على ضرورة تفعيل المبادرات العلمية الجادة التي تسعى لتوطيد دعائم المعرفة في عصر العولمة والغزو الفكري وكشف شبهات المستشرقين ومناهجهم الهدامة لأصول عقيدة الأمة.
٣. بلورة رؤية علمية واضحة تثمر عن مخرجات بناءة في هذا الموضوع المهم.
٤. وتلخصت مشكلة البحث في أن القراءات القرآنية وما تحتويه من خلافات في الأوجه بسبب ما اقتضته ضرورة تباين اللهجات العربية (قريش، هذيل، تميم الخ) والتي تشكل في مجملها لغة العرب الفصحى التي نزل بها الوحي الخاتم.

وأخيراً خلص البحث إلى نتائج من أهمها:-

- إن الاستشراف كظاهرة غربية عُنيت بدراسة عقيدة المسلمين وتاريخهم، كان هدفها الأول هو النيل من الإسلام عقيدةً وشريعةً وقيماً ومرجعيات ورموزاً، ولم يكن الهدف المقاربة أو البحث عن الحقيقة.
- إن أطروحة (حوار الحضارات) التي نادى بها بعض المفكرين ورموز الأمة الإسلامية وقادتها يجب أن تبُنى على الندية والتكافؤ، وأننا نمثل جميعاً أمة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ( أمة الدعوة وأمة الإجابة ) وبالتالي يجب أن يسود الاحترام والتوقير والتقدير والتقديس لإرث هذه الأمة وعقيدتها ،وعدم الإساءة إلى معتنقيها.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

**مقدمة:**

الحمد لله المتفضل على عباده بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية، القائل في محكم تنزيله المعجز: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢]، ثم الصلاة مع أزكى التسليم، على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم و سار على هديهم إلى يوم العرض العظيم . وبعد، فإن الاستشراق كظاهرة علمية وحالة فكرية كان له أثره البالغ على شتى المعارف الإسلامية ولا يزال. وقد استخدم المستشرقون مناهج شتى وأساليب مختلفة لتحقيق أهدافهم المتمثلة في الطعن في ثوابت الدين، أو النيل من الشخصيات المحورية المؤثرة في تاريخ الأمة، وبالطبع فليس كلهم على منوال واحد فبعضهم كان يبدو موضوعياً، وبعضهم قد اشتط وجنح وغالى، وإن كان هدفهم واحد، وهو التشكيك والطعن في الإسلام وإظهاره على غير حقيقته، ونحن من خلال هذا البحث نود استعراض ما قاله وأورده بعض المستشرقين من شبهات حول القراءات القرآنية مستخدمين في سبيل ذلك مناهج وأساليب شتى للوصول إلى مبتغاهم ومآربهم، و هذه الورقة البحثية تجيء لترد على تلك الشبهات التي أثاروها حول القراءات، وقبل ذلك سيقوم الباحث ببيان معنى القراءات ومكانتها وفضلها و أول من دونها وأصل الاختلاف فيها ومعيار صحة القراءة القرآنية حتى يتم – قدر الإمكان - ربط الموضوع وإحكامه وإحاطته، وكما يقال: (بضدها تتميز الأشياء) قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [الأنبياء: ١٨].

**أهمية البحث وعنوانه:**

ومن خلال تلك المعطيات سالفة الذكر في هذه المقدمة، ولخطورة المذاهب الاستشراقية وأثرها السالب في التراث الإسلامي تأتي أهمية هذا البحث الذي يجيء تحت عنوان: (**مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية والرد عليها – دراسة نقدية تحليلية**) وذلك تحقيقاً للأهداف الآتية.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

**أهداف البحث**

- إبراز الدور الريادي الذي تقوم به الهيئات العلمية والبحثية في الذب عن عقيدة الأمة وصون مرجعياتها الفكرية والعقدية.
- التأكيد على ضرورة تفعيل المبادرات العلمية الجادة التي تسعى لتوطيد دعائم المعرفة في عصر العولمة والغزو الفكري.
- بلورة رؤية علمية واضحة تثمر عن مخرجات بناءة في هذا الموضوع المهم.

**مشكلة البحث**

إن القراءات القرآنية وما تحتويه من خلافات في الأوجه بسبب ما اقتضته ضرورة تباين اللهجات العربية (قريش، هذيل، تميم، الخ ) والتي تشكل في مجملها لغة العرب الفصحى التي نزل بها الوحي الخاتم، أقول: إن هذه القراءات باختلافاتها تلك ظلت محل نقد وطعن لدى الدارسين المستشرقين، ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، لذلك كان لابد من تجلية هذا الأمر وتوضيح هذا الإشكال من خلال هذا الطرح، حتى يستبين الحق ويُدحض الباطل !.

**أسئلة البحث**

وهنا يبدر تساؤل محوري وهو: هل بالقراءات لبسٌ أو غموضٌ جعل أولئك المستشرقين يطعنون ويشككون في مصدرية القراءات القرآنية، أو أنها وحي مقدس نزل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: [١٩٣- ١٩٤].

ويتفرع عن هذا التساؤل المحوري الجوهري الأسئلة التالية:

١- هل خلو القرآن الكريم في العهدين النبوي و الراشدي من نقط الإعراب والإعجام سبب علمي وجيه للطعن والتشكيك في القراءات القرآنية كما يزعم المستشرقون ؟

٢- ما السبب والدافع الحقيقي الذي جعل المستشرقين يشككون في الوحي الخاتم ؟



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

إلى أي مدى أثّر هذا الموقف الاستشراقي من القراءات على بعض أبناء الأمة الإسلامية؟

**فرضيات البحث**

كل تلك الأسئلة وغيرها تقودنا إلى جملة من الفرضيات هي:

١. يرى الباحث ومن خلال اطّلاعه على كثير من آراء المستشرقين أن دافعهم الحقيقي من الطعن والتشكيك هو: هزّ ثقة المسلمين بدينهم ومصدر عزهم وهو القرآن الكريم. ولو افترضنا أن هذا الكتاب كان بقراءة متواترة واحدة، لكان موقفهم سيكون هو الموقف نفسه.

إن اختلاف أوجه القراءات يزيد تأكيد الإعجاز القرآني وأنه وحي الله إلى نبيه الخاتم ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

٢. إن عزة المسلمين ومكمن قوتهم في التمسك بهذا الكتاب، تلاوة له بقراءاته المتواترة، وتدبراً لمعانيه، واحتكاماً إليه وعملاً بأحكامه، وتخلقاً بآدابه وسلوكه، لأن نبينا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم (كان خلقه القرآن)، كما أخبرت بذلك أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت عن أخلاقه.

**منهج البحث:**

سيتبع الباحث المنهج الاستقراتي والوصفي والتحليلي لبلوغ مقصده وتحقيق مخرجاته.

سيقوم الباحث بتوثيق الآيات في صلب البحث وذلك إجلالاً وتعظيماً للنص القرآني، أما بقية النصوص فسيتم توثيقها بالهامش، كما سيقوم الباحث بترجمة بعض الأعلام.

**هيكل البحث**

وبناءً على تلك الفرضيات والمعطيات سيصاغ هذا البحث وفق الهيكل الآتي:-

- **المقدمة** وتشتمل على (أهمية البحث، موضوعه، أهدافه، أسئلته، فرضياته ومنهجه).



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- **المبحث الأول:** ( تعريف القراءات، فضلها ومكانتها، تاريخ تدوينها، أصل اختلافها، الخ.
- **المبحث الثاني:** (تعريف الاستشراق والمستشرقين، بيان شبهاتهم في التشكيك بمصدر عقيدة الأمة، والرد عليها، الخ.

هذا فضلاً عن الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات، وأخيراً: **فهرس المصادر والمراجع.**



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

## المبحث الأول

## تعريف القراءات، فضلها ومكانتها، تاريخ تدوينها، أصل اختلافها

### وبه مطلبان:

### المطلب الأول: تعريف القراءات وموضوعها وتدوينها وبيان فضلها

**(أ) تعريف القراءات لغة واصطلاحاً:**

- القراءات لغة هي: جمع قراءة من قولك: قرأ يقرأ قراءة.
- والقارئ هو الحاذق لقراءة القرآن حفظاً وتجويداً وجمعه قرّاء وقرأة[1].
- والمقرئ هو العالم بالقراءات والراوي لها والمجاز فيها مشافهة بسند متصل.

واصطلاحاً: علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع والمشافهة والنُّبر[2].

**(ب) موضوع القراءات:**

وموضوع القراءات: الكلمات القرآنية من حيث أحوال النطق بها وتحقيق تلاوتها.

و ذلك من أجل:

١- صيانة القرآن عن التحريف والتبديل.

٢- معرفة ما يقرأ به كل من الأئمة القراء.

٣- الحفاظ على ميراث الأمة وتراثها بعد أن تكفل الله بالحفظ المطلق لكتابه حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. الحجر: ٩

---

(١) انظر: مختار الصحاح ١/٥٢٦: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – ط١ – ١٩٧٩م – دار الكتاب العربي – بيروت – وكذا لسان العرب ١/ ١٢٩: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل – دار صادر – بيروت.

(٢) ينظر: الإتحاف في القراءات العشر المتواترة، ص٧ عبد الفتاح القاضي – ط١ – ٢٠٠٢م — الناشر مكتبة أنس بن مالك – مكة المكرمة.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

(ج) القراءات:

- أول من دوّن في هذا العلم أبو عبيد القاسم بن سلام[1] بعد أن وضع لبنته أئمة القراءة الأعلام من طبقة الصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف الصالح وقيل أول من وضعه قبل التدوين أبو عمر حفص بن عمر الدوري.[2]

(د) بيان فضل القراء وشرف أهلها:

إن علم القراءات يُعدُّ من أفضل وأشرف العلوم مكانة وأجلّها قدراً وأبقاها أثراً. وذلك لتعلقه بكلام الله عز وجل، وقد عني علماء المسلمين سلفاً وخلفاً بهذا العلم ووضعوا فيه المؤلفات المنثورة والمنظومة.

يقول الإمام الشاطبي[3] في شأن فضل القرآن وأهله في منظومته المسماه حرز الأماني ووجه التهاني المشهورة بالشاطبية والتي احتوت على القراءات السبع:

وإن كتاب الله أوثق شافع ... وأغنى غناء واهباً متفضلا
وخير جليس لايمل حديثه ... وترداده يزداد فيه تجملا
فيا أيها القاري به متمسكاً ... مجلاً له في كل حال مبجلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما ... ملابس أنوار من التاج والعلا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه ... أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولوا البر والإحسان والصبر والتقى ... حلاهم بها جاء القرن مفصلا
جزى الله بالخيرات عنا أئمة ... نقلوا القرآن عذباً وسلسلا
فمنهم (بدور سبعة) قد توسطت ... سماء العلا والعدل زهراً وكملا[4]

---

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام: رومياً من أهل هراة ... مشتغل بالحديث والأدب وافقه ... ذا دين ومروءة حسنة ... صنف كذلك في القراءات والعربية – حسن الرواية صحيح النقل. المصدر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٦٠، ٦٢.

(٢) انظر: البدور الزاهرة. مصدر سابق، ص ٢٣

(٣) هو الإمام أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي ... ولد سنة ٥٣٨هـ بشاطبة من قرى الأندلس، أحد القراءات من أعلام أهل زمانه– توفي الإمام الشاطبي سنة ٥٩٠هـ بمصر ودفن بالقرب من سفح جبل المقطم رحمه الله، وكتوي الشافعية على ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً، وتعد من عيون الشعر الأصيل.

(٤) يقصد بالبدور السبعة هنا القراء السبعة، وهم ( نافع المدني ) وآخرهم ( الكسائي الكوفي ) حسب ترتيب المنظومة.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وكذا يقول الإمام ابن الجزري في شرف أهل القراءات والقرآن:

وبعد فالإنسان ليس يشرف ❖❖ إلا بما يحفظه ويعـــــرف

لذا كان حاملوا القــرآن ❖❖ أشرف الأمة أولي الإحسان

وإنهم في الناس أهـــل الله ❖❖ وإن ربنـــا بهـــم يبـــاهي

وقال في القرآن عنهم وكفى❖❖ بأنه أورثه من اصطفى.[1]

**المطلب الثاني: أصل الاختلاف في القراءات وشروطها والفرق بينها والأحرف السبعة:**

**(أ) أصل الاختلاف في القراءات:**

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين المقصود بهذا الاختلاف. لكنني ولضيق مساحة البحث اكتفى بإيراد نموذج ودليل واحد لتوضيح المراد فأقول:

"روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته. فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره "أي أثِبُ عليه" في الصلاة فتصبّرت حتى سلّم فلببته بردائه "أي جمع عليه رداءه عند لبته" فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال أقرانيها رسول الله ﷺ. فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال ﷺ كذلك أُنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه )[2].

---

(١) طيبة النشر في القراءات العشر ( نظم ) الحافظ بن الجزري: تحقيق: محمد تميم الزعبي: م دار الهدى – جدة ١٩٩٤م.

(٢) صحيح البخاري باب خصومات – كلام الخصوم بعضهم في بعض (٥/٣٥)ط٣– دار ابن كثير للنشر – بيروت ١٩٨٧م.

البخاري: هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ولد سنة ١٩٤هـ ومات سنة ٢٥٦هـ وهو من أعلام الحديث رواية ودراية وكتابه من أصح كتب الحديث.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ولعل الحكمة تبدو جلية في ذلك الخلاف في القراءة، وهي التخفيف على الأمة والتيسير بنص الحديث (فاقرأوا ما تيسر منه)، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

لأن العرب الذين أنزل القرآن بلغتهم كانت ألسنتهم ولهجاتهم متباينة. فهذا يميل وذاك يفتح، وهذا يدغم وذلك يظهر، وهذا يسهل وذاك يحقق. فلو كلفهم الله تعالى مخالفة لهجاتهم والعدول عنها إلى غيرها لشق ذلك عليهم. ولكان ذلك من قبيل التكليف الذي لا طاقة لهم به، وهذا أمر يتنافى مع سماحة الإسلام ويسره. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولذلك أقرّ الرسول صلى الله عليه وسلم: قراءة عمر وقراءة هشام رضي الله عنهما وعن سائر صحابة رسول الله أجمعين.

**(ب) شروط القراءة الصحيحة:**

كما هو معلوم فإن القراءات أقسام منها الصحيحة التي يقرأ بها، و غير الصحيحة و هي الشاذة التي لا يجوز القراءة بها على أنها قرآن متعبد بتلاوته، و قد وضع أهل العلم شروطاً لصحة القراءة، و من أحسن من تكلم في هذا الباب أحد كبار أئمة هذا الشأن الإمام أبو الخير محمد بن الجزري حيث قال في كتابه النشر في القراءات العشر: (كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم.[1]

(١) نشر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري محمد بن محمد: ١/ ١٤٢: دار الفكر - بيروت، تحقيق: الضباع.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقال العلامة المحقق الشيخ أبو شامة:( كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلت هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة). (١)

و قال كذلك: (لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم). (٢)

إذن فالقراءة الصحيحة المعتبرة هي التي تحققت فيها ثلاثة شروط: صحة السند- أي تواتره- ، موافقة اللغة العربية و موافقة الرسم، و هذا ما سأبينه عبر النقاط التالية:

- المراد بصحة السند: أن يرويها العدل الضابط عن مثله و تكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم. (٣)
- المراد بموافقة اللغة العربية: و لو بوجه، سواء كان فصيحاً أم أفصح، لأن العبرة في القراءات السند و النقل، فلا تأخذ القراءة من اللغة بل العبرة بالنقل كما قال الإمام أبو عمر الداني:( و أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة و الأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر و الأصح في النقل،

---

(١) نظر: إبراز المعاني شرح حرز الأماني، أبو شامة شهاب الدين ١/٢٢١.

(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

(٣) نظر: القراءات أحكامها ومصدرها: شعبان محمد إسماعيل: م دار السلام – القاهرة ط/٤



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية و لا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها و المصير إليها).[1]

و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)، قرأها الجمهور بالنصب و قرأها حمزة الكوفي بالكسر- بالعطف على الهاء في "به"، و هذا ما لم يقبله بعض النحويين لعدم موافقته لقوانين اللغة في زعمهم و منهم المبرد، لكن رد عليهم أئمة القراءات بما يكفي و يشفي، و من هؤلاء صاحب حجة القراءات حيث قال:( و قد أنكروا هذا و ليس بمنكر لأن الأئمة أسندوا قراءاتهم إلى النبي صلى الله عليه و سلم، وأنكروا أيضاً أن الظاهر لا يعطف على المضمر المجرور إلا بإظهار الخافض، وليس بمنكر و إنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمر الذي لم يجر له ذكر..[2] و قد نقل هذا الكلام عنه أيضاً صاحب كتاب الشامل في القراءات العشر، قائلاً: ( و قد شنع بعض النحويين على حمزة في قراءته هذه لكنهم أخطئوا، فحمزة لم يقرأ من عنده و إنما أخذ القرآن بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو لم يقرأ وحده بهذه بل شاركه فيها من غير السبعة ابن مسعود و ابن عباس و غيرهما).[3]

- المراد بموافقة خط المصحف: و لو احتمالاً، أي و لو تقديراً، لأن موافقة الرسم كما يقول الإمام ابن الجزري تكون تحقيقاً و هو الموافقة الصريحة و تكون تقديرا و هو الموافقة احتمالاً، مثاله قوله تعالى: (ملك يوم الدين) و (مالك يوم الدين).[4]

---

(١) ينظر: الأحرف السبعة، الداني أبو عمرو، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة الطالب – مكة المكرمة

(٢) ينظر: حجة القراءات، ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد ١/٢٢١.

(٣) ينظر: الشامل في القراءات العشر.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر مصدر سابق ٢٢٣.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

و قد نظم الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في طيبة النشر، فقال:

و كل ما وافق وجه النحو ❖❖ وكان للرسم احتمالاً يحوي

و صح إسناداً هو القــرآن ❖❖ فهذه الثلاثة الأركـــــان

و حيثما يختل ركن أثبت ❖❖ شذوذه لو أنه في السبعــة.[1]

و يجب التنبيه إلى أنه و إن اكتفى أكثر أهل العلم بالقراءات بصحة السند دون التواتر فذلك لأن هذه الشروط الثلاثة إنما هي ضابط و ليست تعريفاً و كماً يقال فإنه يغتفر في الضابط ما لا يغتفر في التعريف، فمسألة التواتر أصلاً هي شرط في القرآن ككل بغض النظر عن القراءات فهو الكتاب الذي وصل إلينا بأقصى درجات التواتر جيلاً عن جيل من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى وقتنا هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، سيظل منقولاً بالتواتر، فقد قيض الله تعالى له من يحفظه و يقرأه ممن لا يحصي عددهم إلا هو سبحانه، ولا ريب أن ذلك يندرج في وعده جلّ و علا بحفظ هذا القرآن العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ :الحجر:٩.

**(ج) الفرق بين القراءات والأحرف السبعة:**

من الفروق المهمة التي يجب الإشارة إليها بخصوص القراءات ما يتعلق بالفرق بينها و بين القرآن. و كذا الفرق بينها و بين الأحرف السبعة.

لا ينبغي أن يفهم أن القراءات هي القرآن، فالقرآن الكريم هو الوحي المتلو المنزل من عند الله سبحانه و تعالى، بخلاف القراءات فهي كما ذكر ابن الجزري: (علم بكيفيات أداء كلمات القرآن.) [2]

جاء في كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر مايلي:(و القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل للإعجاز و البيان و القراءات

---

(١) نظم: طيبة النشر، ابن الجزري محمد بن محمد،ص٢ من ٣٢، تحقيق ومراجعة: محمد تميم الزعبي.

(٢) نظم: النشر في القراءات العشر: مصدر سابق ١/٢١٣.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما).[1]

يعتقد البعض أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، وهذا خطأ، كما نبه عليه كثير من الأئمة، كالإمام أبي شامة حيث قال:( ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل) [2]، وقد نقل هذا القول عنه الإمام السيوطي في الإتقان، وذكر قول مكي ابن أبي طالب: (من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم وافق خط المصحف ألا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم، فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل القاضي قدذكروا أضعاف هؤلاء).[3]

ومؤكد أنه قد قُرأ بالأحرف السبعة قبل وجود هؤلاء القراء السبعة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما صحت الأحاديث في ذلك أمر أن يقرأ أمته القرآن على هذه الأحرف، فاستجاب صلى الله عليه وسلم فأقرأ صحابته القرآن بهذه الحروف، ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهذه الحروف ثابتة يقرأ القرآن عليها، إلا فكيف يقال أن المقصود بهذه الحروف القراءات السبع؟.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة).[4]

---

(١) ينظر: اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: الدمياطي

(٢) ينظر: ابراز المعاني، مصدر سابق:

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها: مكي بن أبي طالب القيسي.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ١٣/ ٣٩٠.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

و لعل الوهم و الخطأ في هذا الأمر سببه أن بعض الأئمة الذين ألّفوا في القراءات قد اكتفوا بسبعة منهم ممن اشتهرت قراءته و ذاعت، فوقع الخلط عند من لم يميز، و من الأئمة الذين اقتصروا في تأليفهم على سبعة قراء، الإمام أبو بكر بن مجاهد، فإنه كما ذكر ابن تيمية: أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين و العراقين و الشام إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن و تفسيره و الحديث و الفقه..فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.[1] لذلك كان بعض السلف يختار قراءة غير السبعة و كان هذا أمراً معلوماً لا ينكره أحد من أهل العلم.

والاختلاف الموجود بين القراءات القرآنية اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، و كيف يكون اختلاف تضاد و الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

فالقرآن منزه عن التناقض و التعارض و التضاد في ألفاظه و معانيه و أخباره و احكامه و كذا في تفسيره و قراءاته باعتبارها طرق أداء لكلماته، وهي طرق متلقاة عن المعصوم الموحى إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول الإمام أبو الخير بن الجزري: (حقيقة اختلاف هذه السبعة المنصوص عليها من النبي اختلاف تنوع و تغاير لا اختلاف تضاد و تناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى.[2] واختلاف القراءات كما يقرره الإمام ابن الجزري لا يخرج عن ثلاثة أحوال:

- اختلاف اللفظ و المعنى واحد.
- اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

---

(١) المصدر السابق ٦/٢٣٤

(٢) نشر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري محمد بن محمد ١/ ٢٨٣



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.
- فأما الأول: فكالاختلاف في ألفاظ الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.
- وأما الثاني: فنحو لفظ (مالك وملك) في سورة الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين، وملكه، وكذا ننشزها بالزاي، وننشرها بالراء، لأن المراد بهما هو العظام. وذلك أن الله تعالى أنشرها أي: أحياها وأنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فضمن الله المعنيين في القراءتين.
- وأما الثالث: فنحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ يوسف:١١٠-١١١. قرئ بالتشديد والتخفيف في لفظ كذبوا المبني للمجهول. فأما وجه التشديد، فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم. وأما وجه التخفيف، فالمعنى: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم أي كذبوا عليهم فيما أخبروهم به. فالظن في الأول يقين والضمائر الثلاثة للمرسل. والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.(١) ثم قال أيضاً: (فليس في شيء من القرآن تناف ولا تضاد ولا تناقض. وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحداً من الأمة رده، ولزم الإيمان به، وأنه كله منزل من عند الله، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن هذا تعارض).(٢)

(١) انظر: المصدر السابق ٢/٢٥٦

(٢) المصدر السابق: الصفحة ذاتها.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

**(د) أرجح الأقوال في المراد بالأحرف السبعة:**

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال ملح وهو ، ما المراد بالأحرف السبعة التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ؟ وما أرجح أقوال العلماء في هذا ؟ وللإجابة عن ذلك أقول:

لقد اختلف العلماء كما أسلفنا في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً واسعاً، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى كما وضح في هذا السرد، ولكن أرجح المذاهب والأقوال أن المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف، وهذه الأوجه لا تخرج عن سبعة أمور وذلك على مذهب الإمام الرازي الذي وافقه جمهور المحققين، وكما نقل ذلك الشيخ أحمد إسماعيل البيلي في أرجوزة الجمانة [1] وهي كما يلي:-

١. اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [البقرة: ٨١]. حيث قُرئ "خطيئته" بالإفراد. وقرئ "خطيئاته" بالجمع.

ومثال آخر قال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾ [المائدة:١٠٧]. قُرئ "الأوليان" مثنى "أولى" وقُرئ "الأولين" جمع أول.

٢. اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ [البقرة:١٨٣]. قُرئ "تطوع" فعل ماضي. وقُرئ "يطوع" فعل مضارع.

ومثال آخر قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٤]. قُرئ "قال" فعل ماضي. وقُرئ ﴿ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ ﴾ فعل أمر.

---

(١) نظر: أرجوزة الجمانة وشرحها: البيلي أحمد إسماعيل: وهو أستاذ سوداني معاصر، على علم وسيع بالقراءات ولغة العرب، تقلد عدة مناصب في السودان والإمارات، منح وسام الجزائر من جمهورية موريتانيا الإسلامية، ووسام العلم والأدب من السودان، له العديد من المصنفات في القراءات وتوجيهها، أديب وشاعر وناقد، عضو مجمع الفقه الإسلامي بالسودان.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٣. اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠] قُرِئ حسنة بالنصب وحسنة بالرفع.

٤. اختلاف الإثبات والحذف. ومثاله قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الحديد:٢٤]. قُرئ بحذف هو وقُرئ بإثباتها في سورة الحديد.

٥. اختلاف التقديم والتأخير مثل قوله: ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ [آل عمران:١٩٥]. قُرئ "وقتلوا وقاتلوا" بتقديم و "قتلوا" وتأخير و "قاتلوا" وقُرِئ "وقاتلوا وقتلوا".

٦. اختلاف الإبدال أي بجعل حرف مكان حرف آخر مثل ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات:٦]. قرئ "فتثبّتوا" بجعل الثاء مكان الباء والباء مكان الياء والتاء مكان النون.

٧. اختلاف اللهجات مثل الفتح والإمالة، والإدغام والإظهار، وإبدال الهمزة وتحقيقها أو تسهيلها، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها أو إبقائها. إلى غير ذلك من اختلاف اللهجات[1].

وبناء على ما تقدم ذكره من أوجه الخلاف السبعة فإنه ليس المقصود بالأحرف السبعة القراءات السبع التي أنزل بها القرآن، لأن القراءات السبع بل العشر هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها الكتاب المجيد. كما جاء في الحديث الذي ورد ذكره آنفاً في ثنايا هذا البحث (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)[2].

وهنا قد يطرأ على الذهن سؤال آخر وهو:

**(هـ) لماذا إذاً نسبت القراءات إلى الأئمة القراء؟:**

وللإجابة عن ذلك أيضاً أقول:

نسبت القراءات إلى الأئمة القراء ( نافع، عاصم، الكسائي، وغيرهم ) نسبة اشتهار وإعلام. لأن كل واحد منهم قضى مدة حياته يقرأ بالقراءة التي اشتهر بها في

(١) والأمثلة كثيرة في هذا المجال كالضحى والنار بالنسبة للفتح والإمالة "وإذ جاءوكم من فوقكم" الإدغام والإظهار في الذال مع الجيم.

(٢) سبق تخريجه في المطلب الثاني من هذا البحث.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مصر معين من الأمصار وظل يقرئ بها الناس فعُرف بها وذاعت باسمه فيقال قراءة نافع – رواية قالون – أو ورش وقراءة عاصم رواية حفص مثلاً، وهكذا.. فهذه النسبة إلى تلك الأسماء والأعلام من الأئمة الكرام إنما هي نسبة قراءة وإقراء ومداومة وملازمة، وليست نسبة ابتداع أو اختراع أو تأليف فإن القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته وطُرقه إنما أخذ بالتلقي والمشافهة والأخذ عن المشايخ الكرام المتصلي السند برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام كما أكد أهل العلم والتحقيق.[1]

وإلى هنا أسدل الستار عن حقيقة القراءات بحسب آراء وأقوال علمائنا الأجلاء من سلف هذه الأمة وخلفها، وأدلف إلى المحور الثاني من هذه الورقة البحثية الذي يتناول شطحات وشبهات أولئك القوم الذين لايدينون بملتنا ولا يعتقدون بمصدرية قرآننا، إنما ينطلقون في كل أقوالهم وآرائهم من حقيقة واحدة هي الطعن والتشكيك في ما يجمع هذه الأمة ويوحدها.

---

(1) تقريب المعاني في شرح حرز الأماني: ١٢/١- خالد محمد الحافظ، وسيد لاشين، مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة ط/٣ ١٤٢٠هـ



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

## المبحث الثاني

## مناهج المستشرقين، حججهم وشبهاتهم في التشكيك بمصدر عقيدة الأمة، والرد عليها

### وبه مطلبان:

### المطلب الأول: بيان مفهوم المنهج والاستشراق والمستشرقين :

**أولاً: معنى المنهج لغة واصطلاحاً.**

**(أ) معنى المنهج لغة:** هو: الطريق الواضح، جاء في المعجم الوسيط: نهج الطريق نهجاً ونهوجاً: أي وضح واستبان، ويقال: نهج أمره، ونهج الدابة أو الإنسان نهجاً ونهيجاً: تتابع نفسه من الإعياء، [1] قال تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨].

**(ب) معنى المنهج اصطلاحاً:** المنهج كمصطلح يعني: طريق البحث في علم من العلوم أو مجموع القواعد والنظم العقلية من أجل اكتشاف الحقيقة والبرهنة عليها.

ويعرف المنهج كذلك بأنه الخطة المرسومة، ومنه منهج الدراسة والتعليم، وفي التربية يعني: الوسائل والخطط التي تحقق الأهداف المتوخاة. [2]

**ثانياً: معنى الاستشراق و المستشرقين وأشهرهم:**

**(أ) معنى الاستشراق والمستشرقين:**

الاستشراق اتّجاهٌ فكريٌّ، يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة. وقد كان مقتصراً في بدايةِ ظهورهِ على دراسةِ الإسلام ِ واللغةِ العربيةِ، ثمّ اتّسعَ ليشملَ دراسةَ الشرقِ كلِّهِ، لغاتهِ، وأديانهِ، وتقاليدهِ، وآدابهِ. [3]

وأما المستشرقونَ: فهم مجموعةٌ من علماءِ الغربِ الذين اعتنوا بدراسةِ الإسلامِ واللغةِ العربيةِ، ولغاتِ الشرقِ، وأديانهِ، وآدابهِ، وأكثرُ هؤلاءِ المستشرقينَ هم من

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، ٢/٩٦٥، صدر عمان، دون تاريخ.

(٢) ينظر: تخطيط المنهج: رأفت قاسم عاشور: ط ١/ دار المسيرة، ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر: موسوعة ( ويكيبديا ) على شبكة الانترنت.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القساوسة المنتظمين في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحابُ مهمّات تبشيرية بحتة ومنهم آخرون موظّفون ببلدانهم، في الدوائر السياسية، والإدارية المختصة بشؤون الاستعمار، بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك.[1]

**(ب) أشهر المستشرقين القدامى والمعاصرين:**

المستشرقونَ خلائقُ كثر لا يحصي عددهم إلا اللهُ، وقد استمرَ عملهم المنظّم ما يقارب الثلاثمائة عام ورُتب لهم من الميزانيات والمخصصات الشيءُ الكثير، وفُتحتْ لهم المعاهدُ والمدارسُ. وسوف أذكرُ هنا بعضاً من أشهر أولئكَ المعاصرينَ للتعريف بهم وليستدلَّ بهم على البقيّةِ الآخرين ممن لم يذكروا في هذا البحث وابدأ بزعيمهم وكبيرهم.

- **سلفستر دي ساسي:**

ويلقب بشيخ المستشرقين الفرنسيين، ولد في باريس في ٢١سبتمبر ١٧٥٨م، اختار التخصص في الدراسات العربية والشرقية، وكان يتقن اللغتين العبرية والعربية و اللغات الأوربية، تقلد مناصب كثيرة لها صلة بالمجال العلمي والأكاديمي، له شهرة واسعة في أوربا، تخرج على يده عدد من كبار المستشرقين من أمثال: فلوجل ووكازيميرسكي وريتو وراسموسن وستيكل وفليشر وغيرهم، كانت وفاته بتوية قلبية في فبراير ١٨٣٨م.[2]

- **د. س. مرجيليوث:**

هو مستشرقٌ إنجليزيٌ متعصّبٌ جداً ضد الإسلام، وهو من محرّري ( دائرة المعارف الإسلامية )، وقد كانَ عضواً بالمجمّع اللغوي المصري، وعضواً بالمجمع العلمي بدمشقَ، ومن كتبهِ ( التطورات المبتكرة في الإسلام ).

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي عبد الرحمن ١/١٢٣. وكذا الاستشراق، إدوارد سعيد ٢٣١.

(٢) المصدر السابق. وكذا موسوعة ( ويكيبيديا ) الشبكة العنكبوتية.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقد اتهمَ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ بتهمٍ كثيرةٍ، وبأوصافٍ قذرةٍ، منها قولهُ: (لقد عاشَ محمد هذه السنينَ الست بعد هجرتهِ للمدينةِ، على التلصص والسلب والنهب.. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

ومما يجدر ذكره أن هذا المستشرق هو أستاذُ الأديب المصري المعروف طه حسين، ومنه نقلَ طه حسين بحثهُ عن الشعرِ الجاهلي !، وأيضاً هو صاحبُ كتابِ (الإسلام وأصول الحكم). وبالجملةِ فهذا المستشرق هو أخبثُ المعاصرينَ على الإطلاق، وأوقحهم، وأجرأهم، وأقلّهم حياءً[1].

- **(فيليب حتّى) :**

لبنانيٌّ نصرانيٌّ أمريكيُّ الجنسيةِ، كانَ رئيساً لقسمِ الدراساتِ الشرقيةِ بجامعةِ برنستون بأمريكا، وهو من أخبثِ المستشرقين، ولهُ كلامٌ عن الإسلامِ وعن النبي صلّى اللهُ عليهِ وسلّم، يدلُّ على مدى حقدهِ على الإسلامِ ونبيّهِ، وقد ملأ بحوثهُ بالكذبِ والافتراءِ وتزييفِ الحقائقِ، وقد كانَ مستشاراً في وزارةِ الخارجيةِ الأمريكيةِ، في شؤونِ الشرقِ الأوسطِ، ويكرهُ أن ينسبَ للإسلامِ أي فضلٍ أو خيرٍ، من كتبهِ ( تاريخُ العربِ ) وهو كتابٌ مليءٌ بالحقدِ والطعنِ على الإسلامِ، والسخريةِ بنبيهِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ، ومن كتبهِ أيضاً ( تاريخ سوريا )، وكتاب (أصل الدروزِ وديانتهم)[2]

**(هنري لامنس اليسوعي):**

مستشرق فرنسيٌّ حاقدٌ، وهو أحدُ محرّري ( دائرةُ المعارفِ الإسلامية )، شديدُ التعصّبِ ضدَ الإسلامِ، لدرجةٍ أقلقت بعضَ المستشرقينَ أنفسهم، من كتبهِ: (الإسلام )، وكتاب ( الطائف).

---

(٥) موسوعة المستشرقين، مصدر سابق.

(٦) المصدر السابق.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- (هـ. أ. ر. جب ) H. A R. gipp

انجليزي من مواليد الإسكندرية، وهو خليفةُ لمرجليوث في جامعة اكسفورد، وهو أحدُ المستشرقينَ الذين يهاجمونَ الإسلامَ من طرفٍ خفيٍ، وإن كان يبدو في الظاهرِ أنهُ منصفٌ، وتتسمُ كتاباتهُ بالعمقِ، ولا يظهرُ الطعنُ فيها إلا لمن سبر غورَ كتبهِ، وأحسن قراءةَ ما بينَ السطورِ.

ومن كتبهِ ومؤلّفاتهِ: كتابُ ( طريق الإسلام) ألّفهُ بالاشتراكِ مع آخرينَ، وقد تُرجمَ للعربيةِ، وكتابُ (الاتجاهاتُ الحديثة في الإسلام) وقد تُرجمَ للعربيةِ أيضاً، وهو أحدُ محرّري دائرةِ المعارفِ الإسلاميةِ.

- **بيرنارد لويس:**

يهوديٌّ متعصّبٌ وهو من الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ، كانَ في ابتداءِ أمرهِ يحملُ توجّهاتٍ يساريّةٍ، ثمَّ في فترةِ الستّيناتِ تحوّلَ وانقلبَ إلى داعيةٍ من دعاةِ الصهيونيّةِ وحاقداً على كلِّ ما يمتُ إلى الإسلامِ والمسلمينَ بصلةٍ.

ويعتبرُ لويس أحدَ أهمِّ المنظّرينِ الروحيينَ لمدرسةِ المحافظينَ الجددِ في أمريكا، ويعتبرُ كذلك أحد أهم الباحثينَ الامريكيينَ، ولا زالَ يعيشُ حتى الآن وعمرهُ يزيدُ على التسعين، ويتقنُ سبعَ لغاتٍ، ولهُ دورٌ رئيسٌ في رسمِ السياساتِ الخارجيّةِ للحكومةِ الأمريكيّةِ وللحزبِ الجمهوريِّ.

**جولد زيهر** (ignaz goldziher):

مستشرق مجري الأصل، من أئمة المستشرقين، ولد في ٢٢ يونيو من سنة ١٨٥٠م، من أسرة يهودية، عني بالدراسات العربية والإسلامية وهو في السادسة عشرة من عمره، تردد على البلاد العربية مثل سوريا ومصر كثيراً، كانت وفاته في ١٣ نوفمبر من سنة ١٩٢١م.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- **أوطو برتزل** (prelzl otto)؛

مستشرق ألماني ولد بميونيخ في ٢٠ أبريل من سنة ١٨٩٣م، ارتبط اسمه بالدراسات الخاصة بالقرآن الكريم، وصرف اهتمامه للغة العربية ولهجاتها، قتل في حادث عسكري في ٢٨ أكتوبر ١٩٤١[1].

**المطلب الثاني: المستشرقون الذين تناولوا قضية القرآن والقراءات، والوقوف على أشهر أقوالهم والرد عليها:**

أقول وبالله الاستعانة ومنه المدد والتوفيق: إن المستشرقين الذين تخصصوا في القرآن الكريم وعلومه كثيرون جداً، لا تخلو مدرسة من مدارس الاستشراق الغربي من جماعة مهتمة بالقرآن الكريم، لذلك وقع الاهتمام في هذا البحث على أقدمها وأهمها وهو كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦م-١٩٣٠م)، فهو من أقدم الكتب، ومن أهمها، وله تأثير كبير على مجمل الدراسات والأبحاث التي اهتمت بالقرآن الكريم قديماً وحديثاً بل تعدى تأثيره إلى القراءات العربية المعاصرة للقرآن الكريم، فأثره في الغرب والشرق حول القرآن بليغ جداً، كان تيودور نولدكه (noldeke Théodor ) هو صاحب الفكرة و الاقتراح الذي وضع نواة هذا المشروع الذي أصدره عام ١٨٦٠م باللغة الألمانية، تناول فيه قضية جمع القرآن وتدوينه وروايته، وقضية ترتيب السور، وكان هو السبّاق من المستشرقين إلى إعادة ترتيب القرآن بحسب النزول، وهي الشبهة التي توارثها المستشرقون فيما بينهم على عبر عصور التاريخ المختلفة إلى يوم الناس هذا.[2]

ولكنني أتجاوز – ولضيق المساحة – الخوض في تفاصيل هذا الكتاب وأدلف مباشرة إلى استعراض أهم شبهاته، وشبهات غيره من المستشرقين ومن ثم الرد عليها وبالله التوفيق.

---

(٣) بتصرف السابق: الرابط: شبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

(٤) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح القاضي ص ٢٣، وكذا المستشرقون والقرآن الكريم، إبراهيم عوض



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

**تمهيد واثبات قبل سرد الشبهات:**

**أولاً:** ليست مسألة القراءات القرآنية مجالاً للتبديل والتحويل، ولا هي مجال للتغيير والتحرير، فمجالها العلم، ولذلك فالكلام عنها لا يكون إلا بالعلم ومن منطلق العلم والتجرد، وبهذا فالقراءات ليست مجالاً للظن والتخمين، ولا هي ميدان لتطبيق المناهج السفسطائية أو اللسانية أو أي منهج من مناهج العلوم الإنسانية الأخرى.

**ثانياً:** من مستلزمات علم القراءات أن يجيد المتكلم فيها (قراءة القرآن) بإحدى القراءات السبعة أو العشرة المعتبرة، أو على الأقل برواية واحدة من رواياته المتعددة، لأن من مستلزمات الفهم والإفهام التطبيق، وهو وسيلة مهمة من وسائل العلوم التجريبية والتطبيقية، والمستشرقون المتكلمون في القراءات القرآنية يفتقرون إلى ذلك مع عجمة اللسان، ثم هم لا يطيقونه،بل يلحنون ويلحدون كما وصفهم الله تعالى، وجُلُّ همهم يتصبُّ في بتر الحقائق حتى يبدوا للناظر غير المدقق والمحقق أن طرحهم موضوعي وهنا يحصل تلبيس إبليس ويتم التشويش، وهذا هو غرضهم ومرادهم.قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣.

**ثالثاً:** إذا تعذر ما ذكر من موضوع الإلمام بقراءة القرآن وسلامة المقصد، فعلى الأقل لا بد من المحافظة على مكونات العلم الذي من خصوصياته المحافظة على المصطلحات القرائية مبنًى ومعنًى، والمصطلحات كما هو معلوم هي نواة العلوم، ، وعند النظر بعين الفحص والنقد، يتبين أن (نولدكه) ومن تبعه وشايعه من المستشرقين قد غيَّروا كثيرا في معاني المصطلحات وحملوها ما لا تحتمل ويستبين ذلك ويتضح من خلال سرد و إيراد تلك الشبهات عبر الأسطر التالية:-

**(i) الشبهة الأولى: التشكيك في أول كلمة نزلت ( اقرأ):**

من المعلوم أن أول كلمة أنزلت هي قوله تعالى (اقرأ ) ومصطلح (القراءة) الذي يشتق منه اسم (القرآن) واسم (القراءات) هو المقصود بالبحث هنا من الناحية اللغوية، ولكن يذهب المستشرق noldeke (نولدكه) إلى أن (اقرأ) هي كلمة حضارية لا



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يمكن أن تنشأ عند العرب البدو!، ولذلك لا يمكن أن تكون كلمة سامية قديمة، وافترض أنها انتقلت إلى بلاد العرب من شمال الجزيرة، وأعطى لمصطلح قراءة معنى ( نادى! ) لأنه هو المعنى الأصلي للكلمة في اللغتين العبرية والآرامية، أما اللغة العربية – حسب فهمه – فهي لا تعرف الكلمة بهذا المعنى، ثم عاد فقرر أنها مأخوذة من اللغة العبرية بناء على قرائن واهية لا تصمد أمام البحث اللغوي الأصيل، أما كلمة (اقرأ) التي وردت في فاتحة سورة (العلق ) فقد فسرها بتفسير غريب وهو: (عظ)، ثم رتب على هذا كله أن كلمة (قرآن) لم تتطور داخل اللغة العربية فهي مأخوذة من كلمة سريانية ومطبقة على وزن فعلان !(1).

هكذا يحاول (نولدكه ) أن يرتب على أمية العرب وأمية النبي صلى الله عليه وسلم عدم أصالة القراءة ليربطها باللغة العبرية والآرامية بتأويل لساني غير مقنع ! والمعنى الذي ذهب إليه في تفسير الكلمة من سورة العلق يشبه ما ذهب إليه المستشرق (ألويس شبرنجر )(2) حين قدم إفادة عجيبة لا تخلو هي الأخرى من الغرابة، فقد زعم أن كلمة ( اقرأ ) في السورة تعني ( اقرأ كتب اليهود والمسيحيين المقدسة ). ولا غرابة في ذلك فإن (نولدكه ) كان يتعاون مع (شبرنجر ) في إنجاز هذا النوع من الأبحاث المبتورة ذات الغرض الارتيابي والتشكيكي حتى في المسلمات اللغوية والمصطلحات الواضحة.

**(ب) الشبهة الثانية( التفسير الخاطئ للمصطلحات ) من جهل شيئاً عاداه:**

أما المستشرق (أوطو برتزل) فإنه يسمي الأمور بغير مسمياتها، يعني أنه يستخدم مصطلحات خاصة من دون المحافظة على المصطلح القرائي الذي هو الأصل في الفهم و البحث والمعالجة، فهو يطلق على (الإدغام) (الدمج)، والدمج شيء والإدغام في

---

(1) انظر: موقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال كتاب تاريخ القرآن لـ نولدكه، د. محمد خروبات، ٢٠١٤م.

(2) ألويس شبرنجر SPRENGER ALOYS ولد في سنة ١٨١٣م، فساوي الأصل، تجنس بالجنسية البريطانية، طبيب متخصص، عين في أول طبيب، ثم اشتغل مترجما للغة الفارسية فمدرسا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، ثم انتقل لتعليم إلى التأليف والنشر، توفي في سنة ١٨٩٣م، له ترجمة في كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي ٢/٢٧٧-٢٧٨، طبعة دار المعارف مصر، الرابعة.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القراءات شيء آخر، ويطلق على (الوقف) (القطع) يقول: (من ناحية أخرى من الممكن أن تقطع الكلمة بعد الحروف القابلة للوصل في نهاية السطر)، ويطلق على (الإخفاء) (الاختفاء)، والأول ليس هو الثاني، لأن الأول مصطلح والثاني ليس بمصطلح، يقول: تختفي الواو والياء أحياناً باعتبارهما شبهي حركة دون سبب وجيه)[1]

**الشبهة الثالثة: المقارنات الجائرة وغير المنطقية:**

اعتمد (نولدكه) وتلاميذه ومن تبعه وشايعه أسلوب المقارنات، وهي مقارنات اعتباطية لكونها تتم بين أطراف غير متجانسة، يقارنون الإسلام بالمسيحية واليهودية، والقرآن بالتوراة والإنجيل، واللغة العربية بالعبرية والآرامية وغيرها، كما يقارنون بين كتب القراءات القريبة والبعيدة في الزمن، وبين الأعلام وان تباينوا، وبين القراءات وان اختلفت.

هذا النوع من المقارنات هو سمة كتاب (تيودور نولدكه)، ومن المقارنات التي اعتمدها وسعى إلى بحثها المقارنة بين مصحف عبد الله بن مسعود الذي أطلق عليه (نص ابن مسعود) ومصحف أُبَي بن كعب الذي أطلق عليه ( نص أُبَي) ومصحف عثمان بن عفان الذي أطلق عليه هو الآخر (نص عثمان).

بدأت المقارنة أولاً بين نص ابن مسعود ونص أُبي، أفضت إلى إصدار أحكام غير مرضية علمياً، نتأمل هذه المقارنة التي يقول فيها ما يلي:-

(تعود أسباب هذا الاختلاف في صفة الرواية لابن مسعود ولأُبي إلى اختلاف الظروف الخارجية للتأثير الذي مارسه كلا النصين، فكما يشير إليه انتأرجح حول سنة وفاته لم يلعب أُبي بعد وفاة محمد أي دور مرموق، وسواء بسبب موته المبكر أو لأسباب أخرى فقد أُزيح عن المسرح السياسي، وانتشر نصه القرآني على الصعيد الشخصي فقط ).

ويمضي قائلاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود: ( أما ابن مسعود فكان والياً على الكوفة، وكان يملك بالتالي إمكانية، استطاع استغلالها بنجاح لإيجاد اعتراف

---

(1) المصدر السابق.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

رسمي بقرآنه!، - تصوروا هذا الاستخفاف والإرجاف – ويمضي قائلاً: ( ويبدو أيضاً أن مصير نسختي القرآن، أي نسخة ابن مسعود ونسخة أبي كان متغايراً، فقد اختفت نسخة أُبي باكراً وربما لم تنسخ أبداً، أما نسخ ابن مسعود فأخذ عنها لمدة طويلة !)

أما المقارنة بين نص ابن مسعود ونص عثمان رضي الله عنهم أجمعين فقد ساق فيه كلام المستشرق (غولد سيهر) معتمداً على استنتاجاته في الموضوع، فيقول: (عالج غولد سيهر كتابات ابن مسعود وقراءاته وكافة قراءات القرآن من منظور الاختلاف عن نص القرآن الحقيقي، وتوجد في الواقع حالات كثيرة في الكتابات والقراءات المنسوبة لابن مسعود غيّر فيها النص العثماني الخطأ !، أو على الأقل يظهر فيها دافع للاختلاف عن النص العثماني، أي أن نص ابن مسعود يصبح نصاً ثانوياً، والدوافع الأهم، وإن لم تكن الأقوى، تشمل ما أبرزه (غولد تسيهر) من إزالة المخالفات من حيث المحتوى أو الإيضاح الموضوعي أو التوضيح اللغوي للنص.

**قراءة نقدية وتوضيحية لهذه المقارنات:**

تضمنت هذه المقارنات كلاما يستوجب التوقف ملياً، لأنه كلام عام وغير محدد، وأحكام مطلقة وغير مقيدة، واستنتاجات بعيدة عن العلم والمعرفة، وأقوال غير صحيحة ولا تتطابق مع حقائق التاريخ والواقع.

لقد تمَّ التوقف كثيراً عند نص ابن مسعود، وترتب عن هذه المقارنة استخلاص الاختلافات الموجودة بين المصاحف، وقد ترتب على هذه الاختلافات وجود اختلافات في القراءة، وهو استنتاج بعيد، ذلك أن مصاحف الصحابة لم تكن كاملة ومهذبة لأنها لم تكن خاصة بالقرآن وحده بل كانوا يكتبون إلى جنب القرآن، الحديث، والفقه، والتفسير، لذلك بادر الخليفة عثمان رضي الله بجمع الصحابة على مصحف إمام مجرد من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن الاختلاف راجعاً لمصحف عثمان ولا لمصاحف الصحابة وإنما هو راجع إلى ما حفظ في الصدور، والتعويل في اختلاف القراءات المسندة المشهورة الصحيحة على



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الحفظ لا على مجرد الخط والكتابة كما أوضحت ذلك في ثنايا هذه الورقة البحثية.[1]

أما الاختلاف بين القراءات الصحيحة المتواترة والتي تلقتها الأمة بالقبول فهو من نوع الاختلاف الطبيعي، الاختلاف الذي يدخل في مجال التيسير على العباد، هذه الأمور كلها لا تعني عند تولدكه ومن تبعه شيئاً، لقد سمح لنفسه بتجميع مواد التصيد ومحاولة مقارنتهما بنص سيدنا عثمان رضي الله عنه بإبداء ملاحظات لم يكن القرآن المجمع عليه اليوم في حاجة إليها، فهي ليست واقعية من حيث القراءة والتعبد، ولا عملية من حيث القبول والرضى، لقد جمع الخليفة عثمان رضي الله عنه المصحف من عدة صحف، وأمر اللجنة أن تكتبه بلغة قريش، ورضيت الأمة العمل به وتلقته بالقبول وأجمعت عليه، وأمة خير القرون لا تجتمع على ضلال أو هوى.

إن اهتمام المستشرقين بمصحف ابن مسعود وأُبي بن كعب شابه نوع من التكلف والإفراط والغرض في المعالجة والكلام، ظناً منهم أن سيدنا عثمان بصفته خليفة المسلمين أقصى وجودهما من الاعتبار مبقياً على مصحفه الذي لا يخلو هو أيضا من الغمز والطعن، والغرض البعيد القريب هو التشكيك في مصحف سيدنا عثمان نفسه، وزرع بذور الريبة في الموروث العقدي للأمة الإسلامية كما أنها لا تملك معايير الصواب والخطأ، وهذا ما يودون التأكيد عليه بسوء نية وقصد.

**الشبهة الرابعة: القرآن المسموع يخالف المكتوب:**

في فقرة من الفصل الثاني من الكتاب المتعلق بـ (القراءة) والمعنون لها بـ (علاقة القراءة مع الرسم) يثير (آوطو برتزل) شبهة خطيرة لا تقل خطورتها عن الشبه المثارة في الكتاب، وهي شبهة متوارثة ينص فيها على أن القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو في النص العثماني، وهي محاولة استشراقية يوهم بها أن للمسلمين نوعين من القرآن نوع مسموع من الوحي، تناقلته الأفواه، وقرآن أجمعوا عليه، كُتب في وقت متأخر من الزمان يُدعى ( نص عثمان)، ثم

(1) راجع المبحث الأول – المطلب الثاني: أسباب الاختلاف في القراءات.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يعود ليرتب على كل ذلك أن القرآن المسموع لم يتحول إلى مركز الثقل في النص القرآني بل كانت الغلبة للنص المكتوب، ثم يستشهد بأن عمل زيد بن ثابت اعتمد على الأصول المكتوبة في جمع القرآن، هكذا تحول القرآن من النقل الشفوي إلى النص المكتوب، يحاول (برتزل )أن يدعم أطروحته هذه بالنسخ المكتوبة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار لتنشأ منها قراءات مختلفة.

**الشبهة الخامسة حول رسم المصحف وخلوه من نقط الإعراب والاعجام:**

ويمضي المستشرق ( برتزل ) فيثير شبهة الرسم العثماني بقوله: ( أن المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عينها عثمان لم يكن كاملاً! ويعتمد هذا المستشرق في كلامه على روايات واهية، بعضها غير موثق والآخر غير صحيح البتة، أما الشواهد التي استند إليها في هذا التغيير فكلمات من القرآن تقرأ بصيغ مختلفة حسب طبيعة القراءة، وكون ذلك راجع إلى اختلاف القراءات هو نوع من تبرير الخطأ حسب تحليله، الذي يمضي فيه قائلاً: (فالذين يتحملون مسؤولية نص القرآن، أي عثمان ولجنته، وبالطبع النبي نفسه!).

ولا يشك عاقل أن في هذا الكلام فيه تحامل وتجني بل وتطاول على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ولا يستند إلى منطق أو علم بالقراءة أو اللغة العربية التي تسوغ هذا الخلاف من أجل التيسير على الأمة كما بينت ذلك بتفصيل في المحور الأول من هذا البحث.

و في هذا السياق ورداً على هذه الأكاذيب يؤكد الكاتب والباحث الإسلامي الدكتور / عبد الفتاح شلبي في كتابه ( رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات )قائلاً: (هذا بحث يعالج رسم المصحف، ومكانته في الاحتجاج للقراءات، وقد دفعني إلى معالجة هذا الموضوع رأي قرأته للعالم المستشرق إجنتس جولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) مفاده أن الخط العربي الذي كُتبت به المصاحف خلوه من النقط والشكل كان سبباً في اختلاف القراءات، وقد أدّى ذلك إلى اختلافات نحوية ومعنوية أيضاً، قرأت ما قال جولد زيهر وتدبرته فإذا بي أراه يهدم النقل عن الأئمة



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القراء، وينكر صلة هذه القراءات بالسند عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومعنى ذلك: أن ما كان من هذه القراءات متصلاً بخصوصية الخط العربي – وهو كثير – ليس مما نزل به جبريل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس من الأحرف السبعة التي نص الرسول في صحيح ما روي عنه أنها كلها شاف كاف، ومعنى ذلك أيضاً إنكار هذا القرآن في الجملة والتفصيل، ثم إنكار ما دار حول نصه الكريم من ثقافات متعددة الألوان، وفي ذلك من الخطورة ما فيه).[1]

وعلى الرغم مما تثيره مثل هذه الشبهات من تشنجات عند الباحث المسلم وعند كل غيور على دينه وكتاب ربه، فإن الباحث ترك العاطفة جانباً، وتناول الموضوع بروح البحث العلمي المجرد البعيد عن التعصب الديني ومزالقه، وأختم هذا المطلب بموقف أحد المستشرقين الذي لم يتورع في إبراز حقده وحنقه على المسلمين ومصدر شريعتهم ألا وهو المستشرق القس (جون تاكلي) John Takle حيث قال بصريح العبارة: (يجب أن يُستخدم كتابهم - القرآن الكريم- وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً، يجب أن نجعل هؤلاء الناس يرون أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً)![2].

انظروا إلى هذا الكلام الخطير، ولكن برغم ذلك ومع الجهود الضخمة التي كلفتهم أموالاً طائلة ومجهودات هائلة، فقد رجع المستشرقون على أعقابهم خاسرين. فها هو ذا الإسلام يتمدد في عقر ديارهم وفي عمق أوطانهم في أوربا وأمريكا وغيرها من بلاد الغرب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]..

---

(١) انظر: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، عبد الفتاح شلبي، ١/١٢١.

(٢) انظر: التبشير والاستعمار: ص٤٠، ط٢ بدون تاريخ.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وسيتضح عبر الأسطر الآتية مدى الإخفاق الذي منوا به على كثرة ما بذلوا من جهود فكرية وأنفقوا من أموال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

إذا سلمنا جدلاً أن منشأ القراءات و تعددها إنما هو تجرد المصاحف من النقط والشكل، فلماذا لم تقبل القراءات الشاذة التي يحتملها رسم المصحف؟، لماذا لم تقبل قراءة الشيعة: (فإذا فرغت فانصب) ؟ بكسر الصاد، مع أن الرسم يحتملها؟، و لماذا لم تقبل قراءة بعض المعتزلة " (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حيث قرؤوها (من شرِ ما خلق) بتنوين شر و اعتبار ما نافية، لماذا لم تقبل مع أن الرسم يحتملها؟

الجواب أن هاتين القراءتين و غيرهما من القراءات الشاذة لم تقبل و إن احتملها الرسم لأنها لم تثبت عن المصطفى صلى الله عليه و سلم، وأن أخذ القراءة المعول عليه هو التلقي بالمشافهة والسند المتصل والقراءة سنة متبعة.

يقول أحد هؤلاء المستشرقين[1] معلقاً على كتاب المصاحف لأبي الأشعث السجستاني[2]: (وكانت هذه المصاحف كلها – يعني مصاحف سيدنا عثمان التي بعث بها إلى الأمصار خالية من النقط والشكل، وكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات ومثال ذلك كلمة: (يعلمه ) كان يقرؤها الواحد (يعلمه) والآخر (نعلمه ) أو (تعلمه)... إلخ حسب تأويله للآية). [3] انتهى كلام المستشرق.

---

(١) وهو المستشرق اليسوعي آرثر جفري الإخصائي الأصل الذي عاش في المشرق الإسلامي لتمام خلال حقبة الثلاثينات من القرن الماضي.

(٢) هو: أبو الأشعث السجستاني: أحمد بن الإعلام في القرن الرابع الهجري، ت ٣١٦هـ.

(٣) مقدمة كتاب المصاحف ١/٧٠: ط٢: بدون تاريخ.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وأنا أتأمل وأقرأ كلام هذا المستشرق المنكر المشكك أعجبني جداً كلام ساقه شيخنا العلامة البيلي [1] رداً على المستشرق آرثر جفري قائلاً:

(يدل كلام آرثر جفري هذا على أن التلقي لا دخل له في إقامة النص القرآني، وقد عبر عن جهله حيث غفل عن قول النبي ﷺ، عندما اختلف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، فقد استقرأ كل منهما السورة المختلف عليها، فلما اطمأن على أن قراءة كل منهما صحيحة ومتفقة مع الهيئة التي أوحاها الله إليه، قال لكل منهما هكذا أنزلت.) [2]

وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه قد أرسل مع كل مصحف من مصاحف الأمصار قارئاً يتلقى الناس منه القرآن، حرصاً على الضبط المروي مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان جفري ملماً بأساليب اللغة العربية وقواعدها وتراكيبها لأدرك أن الهيكل الكتابي الذي استشهد وتمثل به لا يخلو أمره من حالتين:

١. أن يكون فعلاً مضارعاً مبدوءاً بالنون أو الياء أو التاء.
٢. أن يكون مصدراً مجروراً بالياء مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب، وأول الفعل المضارع يحكي السياق، فلو كان قبله ضمير جماعة المتكلمين "نحن" أو "أنا" المسبوق بـ "إنّ" فسيكون التركيب (إنا) أو (نحن) نعلمه، وإذا سبقه ضمير الغائب المؤنث فسيكون التركيب هي (تعلمه) وهكذا في كل فعل مضارع مسند لجماعة المتكلمين أو للمفرد المذكر مخاطباً أو غائباً أو للمؤنث الغائبة.

ولمزيد من التدليل على فساد ما ذهب إليه المستشرق آرثر جفري أورد الهيكل الكلمي المرسوم بدون نقط الذي يمكن أن يكون أوله نوناً أو ياءً أو تاءً في القرآن الكريم كله حتى يتضح بالبرهان الاستقرائي أن هذا المستشرق إنما فرى فرية كبرى بقوله: "إن القارئ في المصاحف العثمانية كان حراً في نقط النص القرآني

---

(١) سبقت الترجمة له في المبحث الأول من هذه الورقة.

(٢) لقد أوردت الحديث بتمامه مخرجاً في المبحث الأول.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وشكله حسب تأويله". فقد ورد هذا الهيكل في تسعة مواضع من القرآن الكريم؛ جاء في خمسة منها فعلاً مضارعاً، وفي أربعة منها مصدراً مجروراً بالباء، مضافاً إلى ضمير الغائب المفرد[1].

أما المواضع الخمسة التي جاء فيها مضارعاً فهي كما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[البقرة:١٩٧].

٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٢٩].

٤. قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران: ٤٧- ٤٨].

٥. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

- هذه هي الأفعال الخمسة التي وردت بصيغة المضارع المسند إلى ضمائر مختلفة، فتأمل معي الأفعال المتصلة بضمير الغائب تجدها كلها متصلة بالله عز وجل وهي الأفعال الثلاثة الأولى.
- والسؤال المطروح هنا: كيف يتأتى لقارئ أن يذهب به تأويله لمعنى من المعاني الأخرى بحيث يشكّل وينقط هذا الفعل الذي هو هيكل بدون نقط أو شكل كما يشاء؟!
- والإجابة أن المعنى لا يستقيم البتة في الأفعال الثلاثة الأولى إلا إذا كان الفعل مبدوءاً بياء المضارعة، فلا يصلح غيرها من أحرف المضارعة كما لا تصلح ياء الجر؛ فتأمل كيف سيكون التركيب في المواضع الثلاثة الأولى إذا كان النص "تعلمه الله" أو "تعلمه الله" أو "يعلمه الله"؟؟ إنه لأمر مضحك حقاً، ولكنه عند آرثر جفري جائز ويعده برهاناً ودليلاً على ان الحرية كانت سائدة في تعديل النص

(١) ينظر: الاختلاف بين القراءات، ليبي ١/١٠٣.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القرآني بحيث استطاع كل قارئ في المصاحف العثمانية أن ينقّط النص ويشكّله كما يشاء كي يتناسب مع ما يراه من تأويل!!

إنها لفرية كبرى تدل على الغرض والجهل معاً كما تنطوي على الحقد الدفين الذي يكنه للمسلمين ولمصدر تشريعهم.(١)

أما الموضعان الآخران فإن اللفظ المتواتر في الموضع الرابع "يعلّمه الكتاب" بضم الياء وتشديد اللام المكسورة من الفعل الرباعي (علّم) وكذلك اللفظ المتواتر في الموضع الخامس (يعملّه علماء)، ولا يختلف المعنى في الموضعين إذا قرئت الآية (ونعلّمه الكتاب والحكمة) بالنون، او قرئت (أن تعلّمه علماء) بالتاء، ولكن مع هذا لم يصل إلينا عن طريق التواتر إلا يعلّمه في الموضع الرابع و (يعلّمه ) في الموضع الخامس(٢).

وهذا يدل على أن المعوّل عليه في تلقي القرآن الكريم هو المشافهة والسماع، وليست الكتابة إلا عاملاً مساعداً فقط على الحفظ والمراجعة، لذلك فالمسلمون لشدة حرصهم وعنايتهم بحفظ هذا المصدر كانوا يسمعون لفظ الشيخ المقرئ ثم العرض عليه، وفوق ذلك الحرص، فإن الله عزّ وجلّ منزّل الكتاب قد تكفّل بحفظه من كل تحريف أو تبديل أو تغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

أما المواضع الأربعة التي جاء فيها الهيكل المرسوم مصدراً مجروراً بالباء ومضافاً إلى ضمير المفرد الغائب فقد ورد في الآيات التالية:

١. قوله تعالى: ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:١٦٦].

٢. قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يونس:٣٩].

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٠٤.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

٤. وقوله: ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧].

- وفي جميع هذه المواضع الأربعة لا يصح أن يقرأ هذا الهيكل "بعلمه" لو وضعنا نقطتين فوق الحرف "ب" في الآيتين الثالثة والرابعة مثلاً فإنهما، ستقرآن هكذا "وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا نعلمه". وهذا لا يليق وسبحانك هذا بهتان عظيم[1].

- ومن هنا يتضح بهتان وإفك المستشرق المدعو (آرثر جفري) باستدلاله على دعواه المفضوحة الكاذبة، بهذا الهيكل المرسوم بدون نقط أو شكل "نعلمه" وأنه قد تخبط وضل ضلالاً بعيداً، ولو أنه رجع إلى مصادر اللغة العربية وإلى مضارع "علم" ومصدره المجرور بالباء في القرآن لأدرك فساد رأيه، ولكن ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(١) المصدر السابق ١/ ١٠٥.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بأفضل المعجزات، وعلى آله وصحبه الكرام السادات، أهل الفضل والسبق والمكرمات، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم البعث والحشر بعد الممات.

**وبعد:**

فإن العبرة بالخواتيم، وها أنا ذا أصل بعون الله وتوفيقه وفضله ومنّه إلى خاتمة هذا البحث الذي بذلت فيه طاقتي ووسعي، ولا ادعي أنني قد أحطت بالموضوع كله من كل جوانبه، ولكن أحسب أن لي بصمة في الأمر، وربما تكتمل الصورة بتلك الإضاءات والإضافات التي يضعها كل باحث وطالب علم غيور على دينه وكتاب ربه.

هذا..وقد استعرضت في هذه الورقة موضوع القراءات القرآنية من الجوانب التاريخية والعلمية،كاشفاً آراء العلماء القدامى والمعاصرين في مسألة تواتر القراءات وصحتها وأنها تمثل إجماع الأمة ، كما بينت الفرق بين القراءات والأحرف السبعة، وشروط صحة القراءة، ثم عرجت إلى الجانب الآخر والذي يتعلق بآراء المستشرقين في هذا الوحي الخاتم، فبينت مقولاتهم المبنية على الطعن والتشكيك، وعلى ماذا يستندون ؟ وقد تم تفنيدها بالحجة والبرهان، والعلم والبيان، وخلصت في خاتمة المطاف إلى النتائج التالية:-

**نتائج البحث**

**أولاً:** إن الاستشراق كظاهرة غربية عُنيت بدراسة عقيدة المسلمين وتاريخهم،كان هدفها الأول النيل من الإسلام عقيدةً وشريعةً وقيماً ومرجعيات ورموزاً، ولم يكن الهدف المقاربة أو البحث عن الحقيقة.

**ثانياً:** إن أطروحة (حوار الحضارات ) التي نادى بها بعض المفكرين ورموز الأمة الإسلامية وقادتها يجب أن تبُنى على الندية والتكافؤ، وأننا نمثل جميعاً أمة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ( أمة الدعوة وأمة الإجابة ) وبالتالي يجب أن يسود الاحترام



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والتوقير والتقدير والتقديس لإرث هذه الأمة وعقيدتها، وعدم الإساءة إلى معتنقيها، وتجريم المشككين والطاعنين فيها.

**ثالثاً:** إن القراءات القرآنية المتواترة (سبعية كانت أم عشرية ) ظل المسلمون متمسكين بها عبر القرون والحقب ولم يتخلوا عنها رغم الكيد والاستهداف المستمر، بل ما زاد طعن الطاعنين فيها إلا مزيد استمساك الأمة المسلمة والإقبال على تعلمها ودراستها والتخصص فيها وفتح عشرات الأقسام بكليات الجامعات في العالم الإسلامي وهذا يعتبر برهاناً على استمساك الأمة بهذا الميراث الخالد المحفوظ بعناية الله عز وجل، وعليه أوصي بالآتي:-

**التوصيات:**

١. يوصي الباحث بعقد ملتقى عام يتناول هذا الموضوع بصورة أوسع تقدم فيه أوراق تتناول دقائق الأمر وتسبر أغواره لأنه من المواضيع الملحة.

٢. يوصي بضرورة العناية بالقراءات القرآنية في مجال التعليم العام (تدريساً وتحفيظاً بالسند المتصل) كما يوصي تخصيص الكراسي العلمية في مرحلة التعليم العالي (بحثاً وتنقيباً ورداً على شبهات الأعداء) الذين لن يكفوا عن استهدافهم وتربصهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٢١٧.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

## قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم

١- إبراز المعاني شرح حرز الأماني، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل.

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد البنا الدمياطي.

٣- أرجوزة الجمانة وشرحها، أحمد إسماعيل البيلي ط ١ / ٢٠٠٦م.

٤- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة – بيروت - ١٩٧٥م.

٥- الاختلاف بين القراءات، أحمد إسماعيل البيلي.

٦- الاستشراق. إدوار سعيد.

٧- الاستشراق والقرآن العظيم، محمد خليفة – مروان عبد الصبور شاهين.

٨- الإضاءة في أصول القراءة، علي محمد الضباع، م البابي الحلبي – القاهرة ١٩٨٤م.

٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة أنس مكة المكرمة، ٢٠٠٢م

١٠- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.

١١- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة المتممة للعشرة، علي محمد فاخر.

١٢- الشبكة الإسلامية على الانترنت، الرابط: http://www.islamweb.net

١٣- القراءات أحكامها ومصادرها ط/٤ القاهرة، م دار السلام، ٢٠٠٨م، إسماعيل شعبان محمد.

١٤- القراءات المتواترة التي أوردها بن جني في كتابه ( المحتسب ) رسالة دكتوراه غير مطبوعة، صالح سنين صالح.

١٥- القراءات المتواترة وأثرها على الرسم العثماني والأحكام الشرعية. ط/١ دار الفكر – بيروت. محمد الحبش.(رسالة دكتوراه مطبوعة )

١٦- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح القاضي.




PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

١٧- الكشف عن وجوه القراءات وعللها، مكي بن أبي طالب.

١٨- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، م. دار عمران.

١٩- آليات الاستشراق في الدراسات الإسلامية – سلسلة تصحيح صورة الإسلام – رقم:٤/٢٠٠٧م.

٢٠- بحوث في الإستشراق قراءة في التاريخ ( موقع الكتروني على الأنترنت ) الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=HodzzrTyoAY

٢١- تاريخ القرآن للمستشرق الألماني ( نولدكة).

٢٢- تقريب المعاني في شرح حرز الأماني، خالد محمد الحافظ – سيد لاشين.م. دار الزمان.

٢٣- حجة القراءات، ابن زنجلة.

٢٤- حرز الأماني ووجه التهاني ( متن الشاطبية ) تحقيق: محمد تميم الزعبي.

٢٥- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي.

٢٦- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر الفجالة ١٩٦٠م.

٢٧- طيبة النشر ( متن ) محمد بن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي.

٢٨- طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، دار الفكر بيروت ١٩٧٧م.

٢٩- كتاب المصاحف، ابو داود، تحقيق المستشرق آرثر جيفري.

٣٠- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي.

٣١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المكتبة السلفية – الأستانة، ١٩٧٥م.

٣٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي.

٣٣- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحق بن السري - الزجاج.

٣٤- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية،التهامي نقرة.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٣٥- مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية، محمد خروبات، ٢٠١٤م.

٣٦- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي.

٣٧- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي.



PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com